المحور الثالث
العوامل العضوية التي تدفع إلى الاجرام

تقديم:

يرى بعض الفقه أن التكوين الشخصي للفرد له دور فعال في الجريمة، ويقصد بهذا الأخير مجموع الصفات الخُلقية التي تتواجد مع الإنسان منذ ولادته؛ فمنها ما يتعلق بتركيبته العضوية، ومنها ما يتعلق بالتكوين النفسي [1].

وقد لوحظ أن علماء البيولوجيا أميل إلى تغليب التركيبة العضوية والشكل الخارجي باعتبارها سبب رئيسي يدفع الإنسان إلى ارتكاب الجريمة، أما علماء النفس الجنائي فقد مالوا إلى تغليب الطبيعة النفسية للإنسان وأثرها على السلوك الإجرامي، وهو ما سيتم التطرق إليه في إطار هذا الموضوع.

---

[1] محمد عبد الله الوريكات، أصول علمي الإجرام والعقاب، طبعة ثانية، دار وائل للنشر، عمان، **2005**، ص **139**.

المطلب الأول:

دور التكوين العضوي في الظاهرة الإجرامية

أولى النظريات التي قيلت بشأن تفسير الظاهرة الإجرامية تلك المدرسة البيولوجية التي تزعمها الطبيب الإيطالي **"لمبروزو"** الذي تحدث عن العلاقة بين التكوين العضوي والجريمة، ثم تلاه العالم **"بندي"** و **"دي توليو"** اللذان أبرزا دور الخلل في الغدد على السلوك الإجرامي، وهو ما سيتم التطرق إليه اتباعا.

الفرع الأول: علاقة خلل الأعضاء على السلوك الإجرامي:

قديما ربط الفلاسفة الإغريق أمثال **"أرسطو"** و **"سقراط"** بين الجريمة والتشوهات العضوية الخُلقية، وقيل أنه بمجرد أن توجد هذه الخصائص في الإنسان إلا وأثرت على نفسيته فيتم ترجمة ذلك إلى سلوكات عدوانية في الأخرين [2].

حديثا ظهر العالم الإيطالي **"لمبروزو"** والذي خرج بنظريته الشاذة التي تقوم على فكرة المجرم بالولادة أو بالتكوين، أين أرجع سبب السلوك الإجرامي إلى التكوين البدني للإنسان المجرم الذي يتميز بخصائص تجعله يختلف بها عن الإنسان السوي، وقد أعطى هذا العالم بعض الصفات الخارجية للتعرف من خلالها على المجرم، منها شكل الجبهة وحجم الجمجمة وتكوين الإنسان، كما صنف المجرمين إلى عدم طوائف مثل المجرم بالولادة والمجرم بالصدقة والمجرم بالعادة وهكذا... [3].

لاقت نظرية **"لمبروزو"** ترحيبا علميا كبيرا نظرا لما أحدثته من ثورة في علم الإجرام، فهي الأولى من نوعها التي تناولت فكرة المجرم بالميلاد، ولكن لم يمض وقت كبير حتى بدأت تظهر عيوبها وبدأ النقد يلحقها من علماء الاجرام، وقد قيل بأن هذه النظرية لم تقدم تفسيرا علميا على وجود ارتباط بين التكوين البدني والميل للإجرام، كما يعيب أهل الاختصاص فكرة المجرم بالميلاد لأن المجرم خلق رباني والجريمة خلق قانوني ووصف تشريعي يتغير عبر الزمان والمكان، إلا إذا كان المقصود في نظرية **"لمبروزو"** الجرائم الطبيعية فقط، مثل السرقة والقتل، أما غالبية الجرائم فلا يمكن التكهن بها لأنها نسبية، فما تعد اليوم جريمة قد لا تكون في المستقبل كذلك.

---

[2] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **140**.

[3] عبد العظيم مرسي وزير، علم الإجرام وعلم العقاب، الجزء الأول، دون طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، **1991** ص **72**.

ثم إن الخصائص التي قال بتوافرها **"لمبروزو"** لدى المجرم بالميلاد، فإن الظاهر يبين وأن الكثير من الناس الأسوياء تتوافر فيهم هذه المميزات ورغم ذلك لا علاقة لهم بالإجرام، كما تأكد وجود الكثير من المجرمين المتمرسين لا تتوافر فيهم الصفات التي ذكرها **"لمبروزو"** [4].

وقد لحق **"لمبروزو"** علماء أخرون ساروا على نفس المنهج؛ منهم العالم الإنجليزي **"جورنج"** الذي اشتغل لمدة ثمانية (8) سنوات من أجل وضع فكرة تأثير التكوين العضوي على الجريمة قيد الاختبار، وأهتم بدراسة مختلف أعضاء الجسم، وقد أخضع لذلك طلبة الجامعات والضباط والجنود وغيرهم... ولم يكيف فقط بالمجرمين، وانتهى إلى عدم وجود صلة بين المجرمين والصفات التي ذكرها **"لمبروزو"** لكنه لاحظ وجود فروقات بين المجرمين وغير المجرمين تتعلق بالحجم والوزن، بحيث توصل إلى أن المجرم يتميز بصغر جسمه وقلة وزنه بالمقارنة مع الإنسان العادي.

يبدو أن العالم **"جورنج"** الذي حاول قدر المستطاع تفادي عيوب **"لمبروزو"** حين أخضع للاختبار الكثير من الفئات بدلا من فئة المجرمين فقط، إلا أن هو كذلك عجز عن إثبات الصلة بين تكوين الشخص والجريمة.

الفرع الثاني: علاقة الخلل في وظائف الغدد بالسلوك الإجرامي

وظائف الأعضاء الداخلية للإنسان متعددة؛ منها وظيفة الجهاز العصبي والجهاز التناسلي والهضمي وغيره، ولكن أكثرها ارتباطا بالسلوك الإنساني هو جهاز الغدد، وقد أكده بعض علماء الإجرام على تأثير الخلل في وظائف هذه الغدد على نفسية الشخص ومن ثمة على سلوكه الإجرامي.

يكون الخلل في الغدد إما بزيادة أو نقص الإفرازات عن المعدل الطبيعي لها، مثلا زيادة إفراز الغدة الدرقية يؤدي إلى القلق والتوتر العصبي وسرعة رد الفعل مما قد يساعد على ارتكاب جرائم العنف، كما أن نقص إفراز الغدة النخامية يؤدي إلى الانحراف الخلقي خاصة لدى الفتيات، وكذلك الحال مع زيادة إفراز الغدة الصنوبرية التي تقع وسط المخ والتي لها علاقة بالقدرة الجنسية، فهي بدورها تؤثر على الحالة النفسية للإنسان وقد تدفعه إلى ارتكاب بعض الجرائم الجنسية، وهو نفس الوضع مع زيادة إفرازات الغدة التناسلية [5].

---

[4] فتوح عبد الله الشاذلي، أساسيات علم الإجرام والعقاب، دون طبعة، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، **2000**، ص **140**.

[5] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **146**.

يؤكد العلماء من خلال الوظائف المختلفة للغدد الموجودة في جسم الإنسان، أن وظيفتها العادية لا تطرح إشكال، وإنما الزيادة أو النقص في عملها هو الذي يؤثر على الحالة النفسية للإنسان ومن ثمة على سلوكه الإجرامي طالما تتحكم هذه الغدد في رد فعل الشخص على جميع المؤثرات الخارجية.

يُشير العلماء أن الخلل في وظائف الغدد قد يكون تكويني أصلي وقد يكون عارض، أما عن الخلل الأصلي في وظيفة الغدد المختلفة في جسم الإنسان فهي تولد مع الإنسان مما يؤثر ذلك على طبيعة وحالته النفيسة والعصبية، أما الخلل العارض فيحدث خلال فترات مختلفة من عمر الإنسان أين تنشط الغدد فتزيد من إفرازاتها أو تخمل نتيجة قلة الإفراز، وهي بدورها تؤثر على سلوك الإنسان خاصة في فترة المراهقة أين تنشط الغدة الجنسية، أو خلال فترة الحيض لدى المرأة عند زيادة الافرازات فتحدث تغيرات في سلوكها نتيجة الحساسية والانفعال الزائد والاكتئاب [6].

رغم أهمية دور الغدد في التأثر على السلوك الإنساني وبيان دور وظائفها في ارتكاب الجريمة إلا أنه ينبغي عدم المبالغة في ربط وظائف الجهاز الغدي بالظاهرة الإجرامية، نظرا للإثباتات التي توصل إليها العلم، وهي أن بعض الغدد لها إفرازات مزدوجة لأكثر من هرمون [7].

المطلب الثاني

دور التكوين النفسي في الظاهرة الإجرامية

يشير علماء النفس الجنائي إلى عدم وجود تكوين نفسي إجرامي على شاكلة ما هو موجود بشأن التكوين العضوي الإجرامي مثلما تحدث به علماء البيولوجيا الجنائية، فلا يوجد تكوين نفسي يميز المجرمين ويدفعهم نحو حتمية ارتكاب الجريمة، لكن في المقابل هناك صلة وطيدة بين التكوين النفسي للإنسان والظاهرة الإجرامية [8].

---

[6] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **148**.

[7] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **138**.

[8] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **141**.

يرجع التكوين النفسي للشخص بشكل عام إلى الوراثة والسن والتكوين الفيزيولوجي والأمراض وغيرها من الأمور التي تبني شخصية إنسانية تحدد من خلالها سلوك الفرد الذي يعكس فيما بعد الحياة النفسية بكل أشكالها [9].

نحاول أن نبين خلال هذه الجزئية ملامح الشخصية الإجرامية التي قد يلتقي أو يختلف عندها علماء الإجرام، مع بيان دور بعض صور الخلل النفسي على السلوك الإجرامي.

الفرع الأول: ملامح الشخصية الإجرامية

ـ تواتر العلماء على دراسة شخصية الإنسان وتبرير سلوكاته من خلال بيان أهم الأمور التي تسيطر عليها، ولعل أولهم ما تفضل به العالم النمساوي **"فرويد"** الذي رَكَز على الغرائز كعنصر مؤثر على السلوك، ومن بين هذه الغرائر غريزة الحب التي تعمل على المحافظة على الجنس، وغريزة الهدم، ويشير فرويد إلى أن هاتين الغريزتين قد تعملان بالتوافق بينهما وقد تتنافران، وشرحا لذلك يرى بأنه عادة ما تسعى غريزة الهدم إلى خارج الإنسان بحثا عن الانفراج، فإن فعلت فستقدم على الاعتداء على الغير، وهذا سلوك الإنسان الفطري البدائي، أما إذا حاولت غريزة الهدم الخروج واعترض سبيلها الأنا الأعلى في إطار القيم والأخلاق الموجودة في اللاشعور يحدث وأن تتحول هذه القوى إلى الداخل فتتسبب في أزمات نفسية.

أما الغريزة الجنسية فتنبع من القوى التي تُحرك غريزة الحب، وهذه الأخيرة تنبع من بعض أعضاء الإنسان منذ السنوات الأولى للفرد، والذي قد يترجم في الكثير من الأحيان إلى سلوكات منحرفة إلا لم يتم تهذيبه [10].

ـ كما قام العالم **"دوغربيف"** بإعطاء تفسير لشخصية الإنسان المجرم على أساس أن السلوك المنحرف يحدث نتيجة تغلب الغرائر الداخلية على عوامل الضبط الذاتي، وهذا لا يختلف عن التقسيم الذي ذكره **"فرويد"** للنفس ألإنسانية على ثلاثة مراحل، الذات الدنيا وهي الأمارة بالسوء، والذات الشعورية وهي العقل والانا الأعلى وهو ضمير الإنسان.

لذا نجد وأن العوامل الضابطة لدى الانسان مرتكزة في الأنا الأعلى، فكلما كانت هذه الأخيرة قوية تَحَكمت في الغرائز الداخلية التي تُعبر عن الأنا الشهوانية وتبعا لذلك كان سلوك

---

[9] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **149**.

[10] مصطفى العوجي (رحمه الله) دروس في العلم الجنائي، الجزء الأول، الجريمة والمجرم، طبعة ثانية، مؤسسة نوفل، بيروت، **1987**، ص ص **502 ـ 503**.

الإنسان متوافقا مع الحياة الاجتماعية، وكلما تغلبت الشهوات الداخلية كلما انحرف الإنسان بسلوكاته نحو الجريمة [11].

ـ لكن من أهم الدراسات في مجال شخصية المجرم ما جاء به **"بيناتال"** في حديثه عن **"نواة الشخصية الإجرامية"** أين توصل إلى أن هناك أربعة أوصاف تُميز المجرم وهي: الأنانية، عدم الاستقرار، الهجومية، والجمود العاطفي.

أما **الأنانية**؛ فهي التي تجعل الإنسان لا يهتم إلا بنفسه إرضاء لشهواته، لأجل ذلك نجده يرتكب جميع الأعمال التي توصله إلى ذلك سواء كانت مشروعة أو غير شروعه طالما أنها تسعى إلى تحقيق الهدف.

في حين تتجسد صفة **عدم الاستقرار** في التنقل العشوائي للشخص من فكرة إلى أخرى دون تحديد هدف واضح، المهم إرضاء حاجة لحظية آنية.

أما عن صفة **الهجومية** فتتمثل في التعدي على الآخرين بأي شكل من أشكال تجسيدا لنزوة شخصية أو لمرض نفسي.

وأخيرا **الجمود العاطفي** الذي يصل إليه الإنسان عندما تتقلص علاقاته الاجتماعية مع الآخرين، مما قد يدفعه إلى القيام بسلوكات سلبية أهمها عدم الاكتراث واللامبالاة بمشاعر الآخرين خاصة مع صُحبته [12].

الفرع الثاني: صور الخلل النفسي

هناك صور عديدة للخلل النفسي الذي يدفع الإنسان نحو السلوك المحترف أهمها؛

أولا: وجود مركب نقص

هذا الشعور لدى الإنسان بالنقص يُشكل عقدة نفسية تدفعه للقيام بالكثير من التصرفات الإجرامية من أجل لفت الانتباه، ويظهر في الصورة التي يريد أن يراه الناس فيها عن طريق البحث عن الشهرة [13]، فالشعور بالانتفاص الذاتي أو بالظلم تجعله يُحس وكأنه ضحية ولا بد له من رد فعل لإثبات وجوده والتغلب على حالته [14].

ثانيا: الصدمة النفسية

---

[11] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **99**.

[12] مصطفى العوجي، مرجع سابق، ص ص **522 ـ 523**.

[13] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **150**.

[14] مصطفى العوجي، مرجع سابق، ص **524**.

فقد يحدث شيء ما في مسار الإنسان تجعل حياته تنقلب رأسا على عقب في شقها السلبي، كان يُعلق آمال على مشروع معين فتتدخل عوامل خارجية تُفسد عليه أحلامه فيصاب بصدمة نفسية يتبعها خيبة أمل، وأن يشعر في بعض الأحيان بعدم الكفاءة، خاصة بالنسبة للأشخاص الذين يجتازون امتحان ويسقطون فيه، فهذا الشعور يدفع الإنسان نحو السلوك الإجرامي كأن يُدمن على الكحول والمخدرات أو التعدي على الآخرين من أجل إثبات الذات [15].

ثالثا: الشذوذ في شخصية الإنسان

يحدث ذلك عندما يصاب الانسان بخلل في نفسيته فتُسبب له اضطراب يُعرف بالسيكوباتية التي تدفع الشخص نحو عدم الاكتراث للقيود الاجتماعية والقانونية، فيقدم على ارتكاب الجريمة بسهولة كبيرة، ونفس الشيء يحدث مع مرض انفصام الشخصية أين يفقد الشخص المريض الاتصال بالواقع فَيَتوَهَمُ أشياء غير موجودة ويتصرف وكأنه غير الشخص الحقيقي [16].

---

[15] مصطفى العوجي، مرجع سابق، ص 525.

[16] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص 151.